تفريغ درس ٢٣

الرحلة الى الله

أعوذ بالله السّميع العليم من الشّيطان الرّجيم، بسم الله الرحمن الرحيم،الحمد لله وكفى وصلّى الله وسلّم وبارك على النّبي المصطفى وآله المستكملين الشّرف،ثم أما بعد، فأسأل الله تبارك وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علّمنا وأن يزيدنا علما ينفعنا، اللّهم

ارزقنا الصّدق والإخلاص في القول والعمل، اللّهم اجعل عملنا كلّه صالحا ولوجهك خالصا ولا تجعل فيه لأحد غيرك شيئا. ربّنا آتنا من لدنك رحمة وهيّئ لنا من أمرنا رشدا.

هذا هو الدّرس الثالث والعشرون في مدارسة ربع العبادات من كتاب مختصر منهاج القاصدين وكنّا بصدد الحديث عن أسرار الحجّ و فضائله وآدابه، وهذا لابدّ للإنسان منه لأننا إن كنا نتكلم عن الرّكن الخامس من أركان الإسلام، نتحدث عن أب العبادات الحج لأنّ الحج يجتمع فيه عزم القلب وفعل البدن وإخراج المال، فيجمع ما بين ما في الصلاة والصيام وما في الزكاة، إن كنّا نتحدث عن ذلك فلابدّ للإنسان أن يكون صاحب أشواق للحج فلا يختص ذلك فقط بأهل اليسار ممّن يستطيع الحج أو يُتصوّر منه أن يحج وإنّما هذا يشمل الناس جميعا.

وكنّا نتكلّم عن ما قبل هذه الرحلة المباركة: تلك الرحلة إلى الله تبارك وتعالى وينبغي للإنسان أن يعزم على مفارقة راحته ورفاهيّته حتى ينال ثواب الحج، أن يجعل نصب عينه مسألة تحرير ركني القبول: الإخلاص والمتابعة للنّبي صلى الله عليه وسلم، وإنّ النبي صلى الله عليه وسلم لمّا لبّى قال" لَبَّيْك بحجَّةٍ لا سُمعةَ فيها ولا رياءَ" [صحّحه الألباني في مختصر الشمائل (٢٨٨)]. وعلى الإنسان أن يعلم أن هذا الزمان زمان النُّسك زمان نفيس لذلك قالوا حجَّ مسروق رضي الله عنه فلم ينم إلا ساجدا .

ولذا لابدّ من التشمير لإنجاز أكثر ما يستطيعه الإنسان وأن تعلو الهمم في هذا الزمان المبارك

وعلى الإنسان أن يتدرب ويتعود على قطع العلائق، كلمة قطع العلائق ما معناها ؟ معناها كيف يتدرّب العبد على أن قلبه لا يلتفت لا لأهل ولا لمال ولا لعمل؟ كيف لا يملأ القلب سوى بهمّ جليل يتزلزل بسببه كيان الحاج ويضطرب بسببه أوصاله وهو أن ينال القرب من الله تبارك وتعالى؟ أن يتحقق بثمرات الحج أن يغفر الله للعبد السائر إليه هذا فيجعل صحيفة الأعمال بيضاء، أن يكون في رفقة النبي صلى الله عليه وسلم، أن ينال الفردوس، أن يُعتق من النّار ويبلّغ أعلى المنازل في درجات الفردوس حينما يكون أقرب ما يكون إلى ربّه تبارك وتعالى {رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ} [التحريم:١١]

إذا نحتاج دائما أن نتهيّأ جيّدا قبل الأعمال لأنه قانون معلوم أنّه على قدر الإعداد والاستعداد يكون الإمداد من الله تبارك وتعالى.

{وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} [التوبة:٤٦]

على الإنسان كما أسلفنا عدّة واجبات من ذلك أوّل ما يبدأ به أمر التوبة ثم عليه أن يردّ المظالم وأن يقضي الدّيون التي عليه وأن يردّ الودائع إذا كان هناك من استودعه شيء، عليه أن يردّ هذه الودائع أو أن يوصي بردّها إن لم يستطع ذلك وعليه أن يكتب وصيّته.

أنا أريد أن تكونوا دائما على علم بأشياء معيّنة في فقه التعامل مع القلب. لمّا الإنسان منا يكون مبتلى بغفلة وناسي لموضوع الآخرة، دائما احفظوها في الطريق إلى الله عزّ وجلّ: ليس شيء يليّن القلب مثل كثرة الاستغفار، يجلي القلب ويصرف عنه الصّدأ بنصّ حديث النبي ﷺ "فإنْ هو نَزَعَ واسْتغفرَ وتابَ صُقِلَ قلْبُهُ"[حسنه الألباني في صحيح الجامع(١٦٧٠)] وليس شيء يصلح القلب، الأولى تزيل الصدأ، مثل دخول الآخرة في هذا القلب. يعني لو نريد أن نجعل هذا القلب مستقيما فدائما يجب تذكار الآخرة.

لذا قال الله تبارك وتعالى في شأن الخليل ابراهيم عليه السلام {إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ} [ص:٤٦] الإنسان لما تكون الآخرة منه على بال، لا شك أنّ صاحب ذلك صاحب قلب سليم إلى أبعد ما يكون.

أمّا القلب فيزوغ بسبب الدنيا قال ﷺ: "حتى لا يزيغ قلب إن أزاغه إلا هي" **[حّسنه الألباني في صحيح الجامع(٩)].**

فماذا نفعل لنتذكر الآخرة؟

علينا بعيادة المرضى لا سيما أصحاب الحالات الحرجة، ومنها ما يخص ما نحن بصدده، وهو مسألة كتابة الوصية فقد قال ﷺ " ما حقُّ امرئٍ مسلمٍ ، له شيءٌ يريدُ أن يوصيَ فيه ، يبيتُ ليلتين ، إلا ووصيتُه مكتوبةٌ عنده" [صحيح مسلم (١٦٢٧)]

وأظن أن هذه سنة مهجورة .النبي ﷺ **قال:** "ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده" [صحيح مسلم (١٦٢٧)] وهنا ينبغي للإنسان منا أن يتذكر دائما أبدا أن يتذكّر الخواتيم، يتذكر فجأة الموت، يتذكر أن الساعة تأتي بغتة وأن القبر صندوق العمل.

ثم بعد ذلك من الآداب أن يودّع الأهل وإذا ما قمنا بعمل من هذه الأعمال سواء الحج أو العمرة أو حال الذهاب لطلب العلم أو لسفر بشكل عام علينا دائما أبدا أن نتذكر سفر الآخرة {لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا} [الكهف:٦٢]، سفر الدنيا، فينبغي أن نتذكر أننّا في أيام سفر وأنّ المقام في الجنة.

فحيّ على جنات عدن فإنها منازلنا الأولى وفيها المخيّم. فينبغي دائما أن نتذكر صلّ صلاة مودع وتصدق بصدقة مودع وصم صيام مودع واعتمر اعتمار مودّع وحج حج مودّع.

وقد أثر أنّ النبي صلى الله عليه وسلم ،الحديث في صحيح الجامع، كان إذا ودع رجلا أخذ بيده فلا يدعها حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده ويقول "أستودِعُ اللَّهَ دينَك وأمانتَك وخواتيمَ عملِك" [قال الألباني في صحيح الترمذي(١٦٢٧): صحيح]، أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، فهذا من السنة حال توديع الأهل.

قال المصنّف و ينبغي أن يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير، وتعلمون أن المرء على دين خليله والصاحب ساحب، ولا شك أن الرفقة الصالحة من أعظم المعينات على الطاعات، فيلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه وإن ضاق صدره صبّره وليؤمّر الرفقاء عليهم أحسنهم خلقا وأرفقهم بالأصحاب، نعرف أنه من السنة إذا كان الناس جماعة حال السفر عليهم أن يؤمّروا عليهم، فهنا يقول المصنف أنه علينا أن نختار أحسن من فينا خلقا، أكثرنا حلما، أكثرنا حكمة أكثرنا تواضعا لأن هذه المعاني بلا شك يحتاجها الناس لاسيما في الأسفار، لأنه توجد أشياء كثيرة مستفزة في سفر الحج والعمرة وخاصة في الحج تكون أشياء كثيرة يتعرض لها الناس فلما يكون هذا الأمير الذي يتحلى بحسن الخلق فهذا من فقه الطريق حتى لا يقع الناس في مخالفات كما ستأتينا في أمور الحج قال الله {فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ}[البقرة:١٩٧]. لأنّه دائما توجد مشاكل في هذه الأمور.

وقال إنمّا احتيج إلى التّأمير لأنّ الآراء تختلف فلا ينتظم التدبير، هذه هي المشكلة: أنا سآخذ برأي س من الناس، أنا سألت اللجنة الموجودة في المسجد الحرام سألت هناك فقالوا لي كذا وآخر يقول أنا سألت في مصر قبل أن أذهب فقالوا لي كذا وآخر يقول أنا الشيخ الموجود في الخيمة التي بجانبنا قال كذا، فهذا الذي يسبّب إشكاليات في حجّ الناس، لذلك نتّخذ أميرا. وهذا الرجل فيه من المواصفات سواء من الفقه سواء من العلم وحسن الخلق بحيث أن نسير على قوله وعليه أن يستشير في الأمور العامّة، يا جماعة هل نمشي الآن؟ أم نمشي بعد قليل؟ ما رأيكم نفعل كذا ؟ فهذا تحقيق لمعنى {وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ} [الشورى:٣٨]، قال لأنّ الآراء تختلف فلا ينتظم التدبير، وعلى الأمير الرّفق بالقوم والنّظر في مصالحهم ويجعل نفسه وقاية لهم.

ينبغي للمسافر تطييب الكلام، إذًا من واجبات الأمير أن يكون رفيقا، أن يكون حكيما، أن ينظر ما فيه مصلحة الناس، أن يتعامل، لا يأخذهم بأشد الأقوال وإنما يكون ذا سعة في الصدر والأفق تكون مشكلة في الحج عندما يكون هناك شباب وكبار في السنّ.. الشباب: نريد أن نطبّق السنّة ونفعل كذا وكذا، ممتاز رائع لكن هناك رخص لكبار السنّ لابدّ أن تُراعى، فيقول: لا وماذا يعني ذلك؟ فهو جاء ليحج فلا بأس إن تعب قليلا، ولو أنت وضعت نفسك محل هذا الرجل الكبير لكان شيئا آخر ولطالبت برفع الحرج، يكون معنا ناس عندهم مرض السكري مثلا يحتاجون إلى قضاء الحاجة بشكل مستمر ولأننا نقول لهم أنّ

المسألة تكون عسيرة عليهم جدا ويكون الإنسان سامع قول من هنا أو هناك فيأخذ النّاس بأشدّ الأقوال وهذا ليس من الفقه بشيء، فينبغي أن يكون رفيقا، ناظرا في مصلحة النّاس وأن يجعل نفسه وقاية لهم .. وينبغي للمسافر تطييب الكلام وإطعام الطعام وإظهار محاسن الأخلاق وهذا من برّ الحج كما قلنا.

فإنّ السفر يُخرج خفايا الباطن، قالوا إنما سمّي السفر سفرا لأنه يسفر أي يظهر أخلاق الناس، لذلك علينا أن نتحرّى أخلاق السفر ومنها حسن الخلق في التعامل مع الناس ومن كان في السفر الذي هو مظنّة الضجر حسَنَ الخلق كان في الحضر أحسن خلقا، في الوقت الذي كان مستفزا فيه كان هادئ وليّن حقّق معنى حديث النّبي صلى الله عليه وسلم "مَنْ كان سهْلًا هيِّنًا لَيِّنًا ، حرَّمَهُ اللهُ على النَّارِ" [صححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٨٤)] كان حقّا محقّقا لصفات عباد الرحمن {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان،٦٣]،كان حقا متحلّ بهذه الصفات العالية {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت،٣٤].

الناس الذين عندهم هذه المعاني فإذا كانوا في السفر بهذا الحلم وهذا الرفق بلا شك فهم في الحضر أحسن خلقا، وتعلمون أنّ أقربكم من النّبي صلى الله عليه وسلم "إنَّ مِن أحبِّكم إليَّ ، وأقربِكُم منِّي مَجلسًا يومَ القِيامةِ ؛ أحسنُكُم أخلاقًا " [صححه الألباني صحيح الترغيب (٢٦٤٩)]، " إنَّ المؤمنَ ليُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه درجةَ الصَّائِمِ القائِمِ " [صححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٦٤٣)]، وقد قيل إذا أثنى على الرجل معاملوه في الحظر ورفقائه في السفر فلا تشكّوا في صلاحه. أي إذا كنتم تريدون أن تعرفوا علامة الصلاح، إسأل عن هذا الإنسان في معاملاته. علماء التزكية قالوا: هناك ما يسمّى بالتحقّق، كيف أعرف أنّ إيماني حقيقي؟ كيف أعرف أني ساع في تزكية نفسي؟ قالوا: شيئين في هذا الأمر، أوّل شيء: آفات اللسان، ثانيا: معاملات الإنسان هذا مع الناس، فإذا كانت معاملات هذا الإنسان في السّفر والحضر جيّدة، هذا الإنسان لا يُشَكّ في صلاحه.

وينبغي له أن يودّع رفقائه و إخوانه المقيمين ويلتمس أدعيتهم ويجعل خروجه بكرة يوم الخميس لأنّ النّبي صلى الله عليه وسلم خرج يوم الخميس في غزوة تبوك وكان يحبّ أن يخرج في السّفر يوم الخميس، هكذا من السنّة والحديث في البخاري، فيجعل خروجه بُكرة يوم الخميس يعني في وقت الضّحى من يوم الخميس إن استطاع ذلك ... وليصلّ في منزله ركعتين قبل الخروج منه ويستودع أهله وماله ويستذكر الأذكار والأدعية عند الخروج من منزله، في ركوبه ونزوله، وهي مشهورة في كثير من الكتب في مناسك الحج وكذلك جميع المناسك كالطواف والسعي والوقوف بعرفة، يأخذ كتاب الأذكار الذي يساعده في كل موطن من هذه المواطن، أن يتذكّر ما كان مأثورا عن النّبي صلى الله عليه وسلم؛ هذه الطّريقة لا شك من الأمور التي يوصى بها في صناعة الالتزام.

هذه هي السنّة، الحديث في صحيح مسلم يجعل خروجه بكرة الخميس وشيوخنا علّمونا هذا وأوصونا به، قالوا: في بداية الطّريق خذ كتاب مثل حصن المسلم وابدأ احفظ ولو ذكر كل أسبوع وابدأ بالتّعود عليه، هذا مجرّب ومعروف وله تأثير سحري في تغيير أحوال هذا الإنسان إلتزاميّا.

فأصبح يعرف وليس غافلا عن هذه الأذكار، لمّا يكون وقت الصباح يقول أذكار الصباح، لمّا يكون وقت المساء يقول أذكار المساء، عند الخروج من البيت عند الدخول إلى البيت لما يدخل إلى المسجد لما يخرج من المسجد لما يدخل إلى الخلاء لما يخرج منه في سائر الأمر هو ذاكر لله تبارك وتعالى، فمجرّب أنّ لهذا تأثير عجيب على التزام الناس، فأنا أوصيكم ونفسي بذلك.

سيأتينا إن شاء الله تعالى بعد درسين أو ثلاث إن شاء الله سيأتينا كتاب الأذكار وسوف نبسط الكلام في ذلك إن شاء الله في فقهيات الأمر وفي أسرار الذكر و إن شاء الله نشرح بعض ما ورد من أوراد و أذكار فهي بلا شك تصنع الإيمان فهي بحق تصنع الإلتزام نستطيع أن نقول كذلك وهي من مزيدات الإيمان ..

قال: يصطحب دائما كتاب الأذكار ويكون دائما متذكر لأذكار السعي، الوقوف بعرفة وغير ذلك من أعمال الحج يأتي فيها بما ذكر من الأذكار والدعوات والآداب وكل ذلك مستوفى في كتب الفقه وغيرها فليُطلب هناك نوصي دائما بالكتب المعلومة: كتاب النصيحة لشيخنا الشيخ محمد إبن إسماعيل كتاب حصن المسلم للشيخ القحطاني وغيرها من كتب الأذكار كتاب الأنس بذكر الله كتاب نافع للشيخ يعقوب إلى غير ذلك من هذه الكتب التي تجمع الأذكار وبعضها يكون فيه بعض من الشرح اليسير على هذه الأذكار.

فصل في الآداب الباطنة وإشارة إلى أسرار الحج

إذًا، بعد هذا قال فصل في الآداب الباطنة وإشارة إلى أسرار الحجّ، نكون هكذا انتهينا من مرحلة ماقبل الحجّ، نبدأ في الكلام عن هذه الرّحلة المباركة ونحن نعيش هكذا خلال الدّرس كأنّنا الآن ذهبت قلوبنا إلى بيت الله الحرام، كأنّنا الآن قد أغمضنا العين وعشنا في خيالنا هذا الحلم الجميل أنّنا الآن نحو بيت الله الحرام.

أولا فاعلم أنه لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالتجرد والإنفراد لخدمته، افهموا هذا الكلام العظيم الخطير الذي سيقال الآن؛ يا جماعة ما مشكلتنا في هذا الوقت؟ ما مشكلة قلوبنا ؟مشكلتنا أننا مشغولين بهمومنا شهواتنا دنيتنا أحوالنا، أن فينا ميل للفجور، قلنا هذا الكلام أكثر من مرة إبن آدم فيه ميل للفجور وميل للتقوى وقلنا أنّ الشيطان يوسوس والنفس تسول وكل هذه التركيبة صراعات شديدة يصارع فيها حتى يكون القلب لله وتزكو النفس. ولنصل لمرحلة طهارة القلب وتزكية النفس ونصل إلى الله تبارك وتعالى كل الطرق تقطع بالأقدام إلاّ طريق الرحمن فيقطع بالجنان أي بالقلب، فلن يحدث أن الإنسان منا يصل إلى ربنا تبارك وتعالى إلا بالتجرد والإنفراد لخدمته أن الإنسان يغلق على نفسه ويتعود في الخلوة أن يكون له حال مع ربنا سبحانه وتعالى أنه يتعلم عبودية التبتل عبودية الإنقطاع لله، عبودية الإشتغال بالله ،عبودية عكوف القلب على الله،هذه المعاني الغالية والعالية والسامية لا تتأتى إلّا بعزم وهذا لا يتأتى إلا بعزم على ذلك بإرادة وعلو همة لا تتأتى إلا بيقين أن هذا هو الطريق، إلا بالصدق والإخلاص في طلب رضا الرب تبارك

وتعالى

إلا بتحقيق { وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ} [الليل ٢١:١٩]

رفع شعار {إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى}، رفع شعار {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة:٥].

التفرد والتجرد للخدمة:

فتكون أحب الألقاب إلا أنفسنا عبد وأمة ويليه خادم، أنا خادم ماذا تشتغل؟ أنا خادم في طريق الله، اخدم على ما أستطيع، ما هو العمل الذي تحبه؟ خدمة ربنا، أن أكون خادم لخدمة ربنا، أن أخدم وأُستعمل في الطريق، في الدعوة إلى ربنا، هذه هي الخدمة، وقد كان الرهبان ينفردون في الجبال طلبة للأنس بالله فجعل الحج رهبانية لهذه الأمة، جعل الحج لكي يأنس الناس بالله وينفردوا ويتجردوا في خدمة ربهم تبارك وتعالى.

قال فمن الآداب المذكورة أن يكون خاليا من تجارة تشغل قلبه وتفرغ همّه، صحيح الأمر مباح {ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم} لكن يأتي الأمر عرضا، نشتري بعض الحاجات من السعودية، نتاجر بها أو غير ذلك هذا لا ينبغي أن يكون شاغل الإنسان، للأسف البعض من الناس يقع في هذا فيتحول حجه إلى ملاهي، وإنما المطلوب أن ينشغل القلب بالعبادة ليجتمع على طاعة الله تبارك وتعالى وأن يكون أشعث أغبر_ انظروا ربنا وتعالى لما قال { ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ} [الحج (٢٩)]

الحج لمن لا يعرف كيف يكون، المفروض أنّ أيام الحج هي ستة أيام تبدأ بيوم التروية وتنتهي في آخر أيام التشريق وهو اليوم

الثالث عشر من ذي الحجة.

المفترض أنه أول ما يبدأ الإنسان بأعمال الحج يبدأها بيوم التروية، من السنّة أن نذهب إلى مِنى وهناك يكون الإنسان قبلها قد أحرم بالحجّ ويذهب إلى منى ويصلي الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر كل في وقته لكن يقصره الإنسان، يصلّي الظهر ركعتين والعصر ركعتين والمغرب ثلاث والعشاء إثنتين وبعد الفجر يبدأ يتحرك إلى عرفة هذا يكون اليوم التاسع من ذي الحجة ويدخل إلى عرفة والمفترض أنه يدخلها قبل الزوال أي قبل وقت الظهر.

ثم يأتي بعد ذلك وقت الظهر فيصلي الظهر والعصر جمعا وقصرا ويستمرّ في هذا الوقت في الدعاء والإستغفار وطلب التوبة من الله تبارك وتعالى إلى أن تغرب الشمس ثم يتحرك بعد ذلك إلى مزدلفة ويصلي هناك المغرب والعشاء سواء لو ذهب مبكرا قبل آذان العشاء فيصليهما جمعا وقصرا جمع تقديم وإذا وصل بعد آذان العشاء وهذا الغالب يصلي المغرب والعشاء جمع تأخير ويبيت هذه الليلة في مزدلفة إلى أن يأتي وقت الفجر فيصلي الفجر في مزدلفة ثم يذهب بعد ذلك إلى المشعر الحرام ويدعو كثيرا حتى تسفر الشمس ثم يتوجه بعد ذلك يوم النحر وهو يوم العيد يوم عشرة من ذي الحجة لأعمال يوم النحر وتكون هذه الأعمال أنّ عليه أن يرمي جمرة العقبة الكبرى سبع حصيات وتكون هذه الحصيات قد جمعها من مزدلفة لا يجمع كل

الحصى كلها إن شاء صنعه وإن شاء صنع ما صنع النبي صلى الله عليه وسلم يجمع سبع حصيات ويرميها يوم النحر هذا ويكون لابس ملابس الإحرام بالنسبة للرجل والمرأة كذلك في إحرامها طبعا هناك أمور فقهية معينة مذكورة في موضعها في دراسة الفقه، لكنّنا نتحدث فقط لنعرف الأسرار القلبية كيف تحج قلوبنا؟.

بعد ذلك، المفروض في يوم النحر هذا يرمي الجمار ويذبح الهدي وإن إستطاع يطوف للإفاضة ويحلق، عنده أربعة أعمال: هناك تفاصيل فقهية كثيرة لكن هذه الأعمال يمكن أن يؤخّر بعضها مثل طواف الإفاضة.. ما صنعه النبي صلى الله عليه وسلم رمى وذبح وحلق ثم طاف للإفاضة ثم عاد إلى منى.

وهناك لما يذهب إلى منى يقعد هذه الفترة وهي من أوّل ليلة الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشركل يوم بعد الظهر يرمي الجمرات الثلاث :جمرة العقبة الصغرى والوسطى والكبرى بسبع حصيات وتكفّر كبيرة من الكبائر بكل حصى يرميها، اليوم الأول يرمي سبع حصيات اليوم الثاني واحد وعشرون اليوم الثالث واحد وعشرون اليوم الرابع إن شاء ولم يتعجل واحد وعشرون فتكون سبعين كبيرة من الكبائر تكفر للحاج

لهذا الحج عظيم الأجر أمن بركات الحج ومن الأشياء التي يجب أن نعض عليها بالنواجذ أن الحج سبب لكفران التبعات، ماذا يعني كفران التبعات؟ يعني إنسان اغتاب شخص ونسي يأتي هذا الذي اغتابه فيقول اغتابني ويأخذ من حسناته أو أنسان في وقت ما الشيطان لعب به أغوى إنسان أو ما شابهها من المظالم ماذا يفعل هذا ولا يعرف كيف يستدركها في الدنيا ماذا يصنع النبي صلى الله عليه وسلم بعد العصر قال لعمر "أسكت لي الناس إن الله عز وجل يقول لأهل الموقف أهل موقف عرفات أفيضوا عبادي مغفورا لكم وتحملت عنكم التبعات"

يا له من عظيم أجر للحجاج!

لهذا يجب أن نعرف كم أجر الحج عظيم وأن تنووا الحج هذا العام: يا شيخ لا يوجد مال لا يوجد امكانيات !! إنوِ فقط واتركها على الله سبحانه وتعالى يمكن تبلغها بنيتك، اللهم قد حبسنا العذر فلا تحرمنا الأجر، في كل وقت هكذا يكتب لك أجر هذه الحجة وأنت في بلادك، نية المرء خير من عمله . قلنا كل هذا الكلام لأن ربنا قال ثم ليقضوا تفثهم المفترض أنه لما يتحلل، لما يرمي ثم يذبح ثم يحلق يكون هكذا قد تحلل تحلل أوّل، الرجال ينزعون ملابس الإحرام ويلبسون ملابسهم ربنا يقول{ ثم ليقضوا تفثهم} وتفثهم يعني أن حتى ملابسهم أصبحت تستقذر العرق ونام البارحة في مزدلفة وقبلها كان في عرفة فكان هناك جهد ولم يخلع هذه الملابس، فيقولون أن فيها عرق الخدمة والناس لا تحب من شعره غير مرجل، يعني لا يضع كريمات ولا

روائح المفروض أن الروائح وما شابهها والروائح خاصة من محظورات الإحرام طبعا ولا يجوز أن يأخذ الإنسان من شعر رأسه ولا من شعر جسده هذا من محظورات الإحرام فيكون أغبر أشعث وربنا سبحانه وتعالى يحبه هكذا، كخلوف فم الصائم الناس لا يحبون هذه الرائحة والله سبحانه وتعالى أطيب عنده من ريح المسك فربنا يحبّك وأنت ذليل له، يحبك وأنت منشغل به وفي نفس الوقت الله جميل يحب الجمال هذه هي العبودية في هذا الوقت ليس مطلوب منك أن تكون أشعث أغبر، أن لا تهتم بشكلك أو تسرح شعرك وإنما تكون ناسي للدنيا تماما وتكون محقق لقول النبي صلى الله عليه وسلم "إنَّ البذاذةَ منَ الإيمانِ "[صححه الألباني في صحيح أبي داود(٤١٦١)]

لأن الواحد منا لما يلبس لباس الإحرام يستشعر أنه لابس الكفن، أنه سيبعث هكذا، هذه هي الأكفان والناس كلها هكذا فلا تسطيع أن تفرق بين الملك والصعلوك، لا تستطيع أن تفرق بين الغفير والوزير، الكل سواسية يأتي الرحمن فردا، عبدا، **فكلّ** موقف في الحج يذكرنا بمشهد من مشاهد يوم القيامة**،** لهذا مطلوب أن يكون أشعث أغبر رث الهيئة غير مستكثر من الزينة وينبغي أن يتجنب ركوب المحمل إلا من عذر كمن لا يستمسك على الزابلة أي ما يحمل عليه من الإبل لأن النبي صلى الله عليه وسلم حج على راحلة وتحته رحل رث**،** لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان هكذا واضح عليه أثر التذلل والتواضع.

الأشياء التي كانت معه لم تكن فاخرة لم تكن ذات قيمة، هذا الرحل كان رثا، لهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو خزيمة والحديث في الصحيح وأبو يعلى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أن الله عز وجل يباهي بالحاج الملائكة يقول انظروا إلى عبادي أتوني شعثا غبرا من كل فج عميق أشهدكم أني قد غفرت لهم. [حديث ضعيف]

وقد شرف الله بيته وعظمه ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حوله حرما له تفخيما لأمره وتعظيما لشأنه وجعل عرفة كالميدان على فنائه، هذه المعاني نحن نريد أن نرتبها ابتداء من أول إتخاذ الأمور التي تظهر فيها آثار التواضع وربطناها بمسألة الإحرام وكذلك قال المصنف: واعلم أن في واحد من أعمال الحج تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر فمن ذلك أن يتذكر بتحصيل الزاد تحصيل زاد الآخرة من الأعمال ونحن مهتمّون بجلب الأكل والشرب والأشياء التي سنستخدمها في هذه الرحلة نتذكر {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ} [البقرة:١٩٧].

الأمر الثاني: أن يحذر أن تكون أعماله فاسدة بسبب الرياء والسّمعة

فهنا لا ينتفع الإنسان بشيء من ذلك وليحذر أن تكون أعماله فاسدة من رياء وسمعة فلا تصحبه ولا تنفعه كالطعام الرطب الذي يفسد في أول منازل السفر، فمن البداية تحرير النية حتى لا يفسد العمل يبقى صاحبه وقت الحاجة متحيرا ، يتذكر زاد الآخرة وهو التقوى فأول شيء يكون محرّرا نيته ومخلّصا لها من الرياء والسمعة بالدعاء والاكثار من قول "اللّهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئا أعلمه وأستغفرك لما لا أعلمه " وأن يدعو بالإخلاص "اللّهم ارزقني الصدق والإخلاص في القول والعمل " "اللّهم حجّة لا رياء فيها ولا سمعة" كما في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم.

فإذا فارق وطنه ودخل البادية وشهد تلك العقبات فليتذكّر خروجه من الدّنيا بالموت إلى ميقات القيامة وما بينهما من الأهوال، فالإنسان لو أخذ طريقا برّيا أو حتى عن طريق البحر أو حتى عن طريق الجو يكون هناك عوائق هوائية أحيانا في الطريق كما يحصل هذا الأمر في الطريق لو كان برا أو بحرا، يتذكر دائما العوائق/المطبّات التي يواجهها في حياته وأنّ طريقه إلى ربّه تبارك وتعالى مليء بالعوائق، في نفس الوقت يتذكّر لمّا يخرج من قبره إلى أن يصل إلى الجنة إن شاء الله تعالى كم سيمرّ على مشاهد من حشر ومن ميزان ومن صراط ومن قنطرة وغير ذلك وما في يوم القيامة من الأهوال.

ومن ذلك أن يتذكّر وقت إحرامه وتجرّده من ثيابه إذا لبس المحرم الإحرام، أن يتذكّر لبس الكفن كما قلنا وأنه سيلقى ربّه على زي مخالف لزي أهل الدنيا، انظروا إلى الناس كم ينفقوا من الأموال على الملابس في حياتهم تجد أن الناس تصرف ألوف مؤلفة

على ذلك ليلبس لباس جيد ويظهر بمظهر طيب ثم هو لا يقابل ربّه بشيء من ذلك أبدا وإنّما سيلقى الله بهذه الأكفان، سيلقى الله بكفنه، وربنا يحبك هكذا في هذه الصورة أن تلبس الأكفان

قال الله تبارك وتعالى {يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ} [الإنشقاق:٦]، سنلقى الله عزّ وجلّ ونلقاه بأكفاننا.

فإذا لبّى فليستحضر بتلبيته إجابة الله تعالى إذ قال { وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ} [الحج:٢٧] فالإنسان لمّا يحرم وينوي الإحرام ويبدأ في التلبية بالصيغة المعروفة:

لبيك اللهمَّ ! لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمدَ والنعمةَ لك والملكَ لا شريكَ لك [صحيح مسلم (١١٨٤)]

لبيك إله الحق لبيك لبيك وسعديك والخير بيديك والرغباء لك والعمل إليك لبيك ذي المعارج، لبيك ذي الفواضل لبيك اللهم لبيك إنّما الخير خير الآخرة.

هذه الصيغ واردة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن صحابته وإن كانت أشهر الصيغ الصيغة الأولى صيغة لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنّعمة لك والملك لا شريك لك.

كلمة لبيك معناها أني أجيب نداء الله عز وجل على الفور وأني أجيبه محبا لله منقادا مطيعا ممتثلا. فالإنسان منا إذا قال هذه الكلمات ينبغي أن يخاف أن يقال له لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك، فقد قال سفيان إبن عيينة: حجّ علي ابن الحسين رضي الله عنهما فلمّا أحرم واستوت به راحلته اصفرّ لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبّي فقيل له لم لا تلبي فقال أخشى أن يقال لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبّى أغشي عليه ووقع من على راحلته ولم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه.

ولما حجّ جعفر الصادق حفيد بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يلبّي فتغيّر وجهه فقيل له ما لك يا حفيد بنت رسول الله صلّى عليه وسلم قال أريد أن ألبّي وأخاف أن أسمع غير الجواب، فهناك من يقال له لبيك وسعديك وهناك من يقال له لا لبيك و لا سعديك .

إن العبد منّا إذا لبّى ينبغي أن يقولها وهو قد انخلع عن الدنيا، لبيك قادم إليك يا رب، جئتك طائعا مستجيبا، قادم إليك يا رب عازم على اتباع أوامرك، قادم إليك يا رب وأنا قد زهدت من الدنيا وممّا قد شغلني عنك، قادم إليك يا رب وأنا أعلم أني قد تأخرت كثيرا، قادم إليك يا رب وأنا على يقين بأنك ستهديني {إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الصافات:٩٩]

لذلك ينبغي أن يكرّرها حتى تخرج من قلبه، يكرّرها ويُعلي بها صوته لتكون شعاره وكأنّه يهتف بها أمام شيطانه، أمام نفسه الأمّارة بالسّوء.

هذا من السنةّ، فقد أتى جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم فأمر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه معه أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية قال: " الحجِّ العَجُّ " [حسّنه الألباني في صحيح الجامع(١١٠١)] أي رفع الصّوت بالتلبية حتى أنّ الصحابة رضوان الله عليهم تبحّ أصواتهم من رفعها بالتلبية: ليقهروا الوسواس ويطردوا النعاس وبلا شكّ هذا أجلب للخشوع وأقرب للدّموع وممّا يعين على التلبية بشارة النبي صلى الله عليه وسلم "ما أَهَلَّ مُهِلٌّ قطُّ إلَّا بُشِّرَ ، ولا كَبَّرَ مُكَبِّرٌ قطُّ إلَّا بُشِّرَ ، قيل : بالجنةِ ؟ قال : نَعَمْ" [حسّنه الألباني في السلسلة الصحيحة(١٦٢١)] الحديث في السلسلة الصحيحة حسّنه الألباني ومما يعين على التلبية كذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "ما من مسلمٍ يلبِّي إلَّا لبَّى من عن يمينِه أو عن شمالِه من حجرٍ أو شجرٍ أو مدرٍ حتَّى تَنقطعَ الأرضُ من هاهنا وَهاهنا" [قال الألباني في صحيح الترمذي(٨٢٨): صحيح] أي كل ما حوله يلبّي بتلبيته وكأنّنا عبّدنا الكائنات لله تبارك وتعالى.

قال صلى الله عليه وسلم "حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا" عن يمينه وشماله ومما يعين على التلبية أن تتأكد أن كل ما

مررت به من زرع وشجر وجماد وحجر سيشهد لك أمام الله يوم القيامة.
كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: اذكروا الله عند كل حجيرة وشجيرة لعلّها تأتي يوم القيامة تشهد لكم.
وممّا يعين على التلبية أن تشعر أن تلبيتك ماهي إلا طلب فيه إلحاح ودعاء في إصرار أن يحضر قلبك،أن تفيض دموعك، أن تخشع جوارحك، ومما يعين على التلبية أن تحدّث نفسك أنك على مقربة من الوصول إلى الكعبة المشرفة فتزداد شوقا مع كل خطوة وكلما دنوت شبرا تذكّرت أن الله عز وجل قال: " ومن تقرَّبَ منِّي شبرًا ، تقرَّبتُ منه ذراعًا ومن تقرَّبَ منِّي ذراعًا ، تقرَّبتُ منه باعًا .ومن أتاني يمشي ، أتيتُهُ هرولةً" [صحيح مسلم(٢٦٨٧)]، فتزيد ضربات القلب لذة وتضطرب المشاعر لوعة لبيك اللهم لبيك، لبيك وسعديك والخير بيديك والرغباء إليك والعمل، لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنّعمة لك والملك لا شريك لك، طلّقت الدنيا، إني آت إليك ربي، إليك جئت يا قرة عيني إليك جئت يا منتهى سؤلي، إليك جئت ولا رب لي سواك ولا إله لي غيرك، فقيرك ببابك، مسكينك ببابك، مؤمل خيرك ببابك، راجي فضلك ببابك، محبّك ببابك، فلا تطردنا يا رب لا تطردنا يا رب عن جنابك أتيناك بذنوب كثيرة ومعاصي عديدة، أتيناك ولا رجاء لنا إلا فيك فلا تخيب فيك رجائنا فيا منتهى سؤلنا يا ربنا يا ربنا يا ربنا يا من إليك المشتكى اللهم خذ بأيدينا للبر والتقوى ومن العمل ما ترضى، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد.
يا رب يا رب ليّن لنا قلوبنا ولا تجعل في قلوبنا حبا إلا لك ولا تعلقا إلا بك يا سيدي يا مولاي يا حبيب قلوبنا إغفر لنا وارحمنا وتب علينا، اغفر لنا وارحمنا وتب علينا توبة ترضى بها عنا. اللهم تابع لنا بين الحج والعمرة اللهم تابع لنا بين الحج والعمرة اللهم لا تحرمنا زيارة بيتك الحرام اللهم بلغنا الكعبة ربنا، بلغنا هذه البقعة المباركة التي تُضاعف فيها الحسنات، هذا المكان الأعز الأغر هذا المكان الأكرم بلغناه ربنا ولا تحرمناه فإذا ما بُلّغنا ذلك المبلغ فعلينا بالجمع بين الرجاء والخوف كيف لا وقد قال الله جلّ وعلا {وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الحج:٢٥].
فمن يهمّ بالذنوب، لم يقع فيها وإنما عزم عليها، همّ بها، تُوعّد بالعذاب الأليم. ولذلك قال الإمام الحافظ ابن حجر في فتح الباري أن فعل الصغيرة في الحرم أشد من فعل الكبيرة في غيره، ولأنّ الله جمع في الحجّ حرمة الزّمان وحرمة المكان فكان الصّحابة يحذّرون الناس أشدّ التحذير
فكان عمر رضي الله عنه يقول: يا أهل مكة اتّقوا الله في حرمكم هذا، أتدرون من كان سابق حرمكم هذا قبلكم كان فيه بنو فلان فأحلّوا حرمته فهلكوا وبنو فلان فأحلّوا حرمته فهلكوا حتى عدّ ما شاء الله ثمّ قال والله لأن أعمل عشر خطايا بغيره أحبّ إلي من أن أعمل واحدة بمكة ومن أخطر ما يكون أن الشيطان بطبيعة الحال يعمد إلى هدم ما يبنيه المعتمر والحاجّ.
وتجد الناس للأسف الشديد يقعون في ذنوب مثل إطلاق البصر، إختلاط الرجال بالنساء، فتجد أشياء يندى لها الجبين نسأل الله العفو والعافية نسأل الله العفو والعافية إذن نجمع بين الخوف والرجاء إذا ما حللنا مكة واقتربنا من الحلول بالمسجد الحرام.
فإذا دخلت المسجد فكأنك تستأذن الآن في الدخول على الله، أنت ستقف بين يديه أنت الآن في هذا الموقف الجليل
فاستشعر الآن حين دخلت المسجد الحرام حال ذلك الذي ناجى ربّه فقال: إن ذنوبي سودت صحيفتي وأنا لا أستحق الدخول عليك يا مولاي ولكنّ الكريم يقبل من يكون مع الضيف إكراما للضيف وأنت أكرم الأكرمين، فهل تطرد من بابك من جاءك مع أضيافك وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، إن الله أكرم كلب أهل الكهف لما جاور أهل الكهف فاللهم أنزلنا حتى هذا المنزل إن لم نكن نستحق بالجوار، بجوار الصالحين فنحن نعلم شأننا ونعلم ما اقترفت أيدينا فاللهم لا تحرمنا فضلك بذنوبنا".
الآن استشعر نفسك أمام الله واملأ قلبك بالعظمة والهيبة وأنت ترى جموع الطائفين فليرتجف القلب وليجل. فأنت الآن في هذا الموكب العظيم املأ عينك بالنّظر إلى الكعبة حتى تسدّ الأفق أمامك واخطو خطوة امش خطوة خطوة إلى أن تبلّغ، أن تكون قريبا من بيت ربك.

أحد مشايخنا زحف في صحن الكعبة على يديه، زحف على يديه وأخذ يناجي ربّه ويقول جئتك زحفا يا سيدي جئتك على الركب يا سيدي جئتك زاحفا يا مولاي اقبلني، اقبلني يا رب

فإذا ما اقتربت من الكعبة وشعرت بهذا السحر العجيب وهذا الأثر البالغ فارتاح قلبك واطمئن بالك وقهر وسواسك وقتلت الأحزان، فاعلم أن الكعبة ليست أحجارا ولا أستارا، الكعبة بيت الجليل، فوقه تطوف الملائكة حول البيت المعمور، فاستحضر بقلبك معاني الحب ولقاء الحبيب وحصول المنى برؤية بيت الله وتذكر لو أنك الآن بين يدي الله تملّي العين، اللهم لا تحرمنا لذة النظر إلى وجهك الكريم، اللهم متعنا بالنظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة فاشكر ربك أن بلغك هذا وألحقك بالصالحين. اللهم ألحقنا برحمتك في عبادك الصّالحين، اللهم أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين. والآن استعد لكي تطوف بالبيت ومع الطواف أسرار وأسرار فإنها تماما تماما تجسد لك رحلة الحياة، كيف ذاك؟؟ هذا ما سنعيشه إن شاء الله في اللقاء القادم مع أسرار الرحلة المباركة.